ثم انتظر فاغر الفم وابل الأسئلة الذي لن يتخلّف صديقه الفتي عن صبّه عليه.

بيد أن شيئاً لم يحدث. فما اعترت «ماني» دهشة ولا صَدَر عنه أدنى تعجّب. فهل يشعر «مالكوس» بالمهانة أو تخور عزيمته؟ لقد جرى الأمر عكس ذلك تماماً. وبدا له عدم تأثّر رفيقه وكأنه تعبير عن انذهال ما بعده انذهال. وخاله مسحوراً متلاشياً من الدهشة والإعجاب، وشعر بأنه قاب قوسينْ من الانتصار فاستفاض قائلاً:.

ـ لن أبقى طويلاً في بستان النخيل المشؤوم هذا. وسوف أرحل ما إن أتمّ أعوامي الخمسة عشر. ولسوف تأتي هي معي. ونعيش في (المدائن). وسأجد عملاً بصفة أجير لدى تاجر «صُوريّ» أو «تدمريّ». وأرافق القوافل إلى (مصر) و(الهند) و(أرمينية). وإني لأراها من هنا، جميلةً كتمثال إغريقي، ملتفّة بثوب طويل من الحرير المطرّز بالذهب والأحجار الكريمة، وهي تهبط على مهلٍ درجَ قصري في (المدائن)، وحولها عشر إماء بيضاوات وسوداوات.

وفارق «ماني» صمته وشارك مخاطبَه لعيتَه لحظةً، لا لشيء إلا ليزرع فيها الشكّ:.

ـ وكيف بنيتَ لنفسك قصراً، أنتَ يا مَنْ ليس إلّا أجيراً عند تاجر من (المدائن)؟.

لقد كان ينبغي لـ «مالكوس» أكثر من هذا لكي يُصاب بالاضطراب.

ـ لن أظلّ أجيراً مدّة طويلة، فسرعان ما ستكون لي تجارتي الخاصة وعملاء في (أنطاكية) و(تدمر) و(البتراء) و(دِبْ) و(بريتيس). وسأتمكّن عندها من بناء قصرٍ لي في (المدائن) وآخر في (صور). وثالث إذا شئت في جبال (ميديا) حيث أسكن السيدة في كل مرة تريد فيها الهرب من القيظ والأوبئة.